

الطوفي ونماذج من تفسير القرآن بالقرآن

الباحث: يوسف مرزوق الضاوي^(*)

(*) مدرس مساعد بقسم التفسير والحديث بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية - جامعة الكويت.

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث منهج أحد علماء القرن السابع الهجري، وهو الإمام سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري الحنبلي (٦٥٧هـ - ٧١٦هـ)، في جزئية بالغة الأهمية من التفسير، وهي تفسير القرآن بالقرآن، والبحث يلقي الضوء على جانب التفسير من شخصية الطوفي العلمية، وهو جانب لم يتناوله الدارسون لهذه الشخصية العظيمة، وتقوم الدراسة على استقراء مصنفات الطوفي، واستخراج ما يتعلق بالتفسير منها، ثم دراسة النماذج التفسيرية دراسة تحليلية مقارنة بمن سبقه من العلماء، واستخلاص منهجه من خلال هذه الدراسة، بالإضافة إلى ذلك فإن البحث يعطي فكرة عن ملامح الحركة العلمية بشكل عام، والتفسيرية بشكل خاص، لعصر الطوفي رحمه الله.

كما أن البحث يشتمل على ترجمة للطوفي، وفيها ذكر لمؤلفاته: المطبوع منها والمخطوط والمفقود.

المقدمة:

الحمد لله الذي نور بكتابه القلوب، وأنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب، والصلاة والسلام على نبي الرحمة والتوبة المبعوث لجميع الأمم والشعوب.

وبعد،،،

فإن الاشتغال في الأبحاث المتصلة بالقرآن وعلومه أجل عمل وأشرفه، قال ابن خالويه^(١): «والاشتغال بتعليم القرآن وتعلمه والبحث عن علومه ليس كالاشتغال بسائر أصناف العلوم؛ لأن فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»^(٢).

وبدافع من ذلك أحببت أن أتقدم بدراسة لآراء الإمام الطوفي في التفسير ومسائل علوم القرآن، من خلال دراسة استقرائية لكتبه المتنوعة، سواء المتعلقة بالتفسير مباشرة أو التي حوت تفسيراً وآراء في علوم القرآن وإن لم توضع في الأصل لذلك، بالإضافة إلى بيان منهجه في التفسير.

وتأتي أهمية هذه الدراسة كونها تلقي الضوء على جهود هذا العالم الفذ في التفسير وعلوم القرآن، وهو الجانب الذي كان الإمام الطوفي مغموراً فيه، حيث لم يُدرس من قبل.

ونجم الدين الطوفي: عالم من علماء الحنابلة، ذو فكر متميز واستقلالية في الآراء، أدت إلى اختلاف الفقهاء والمؤرخين فيه، فمنهم: من يرفعه إلى رتبة العباقرة الأفاضل، والعلماء الأفراد، ومنهم: من يتهمه بالمروق والبدعة والرفض.

وبحافظ من هذا الخلاف حوله تقدمت لدراسة جانب مهم من تراثه الفكري الغزير، وهو جانب التفسير.

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، من علماء اللغة والقراءة، يعد من أشهر من ألف كتب الاحتجاج بالقراءات، ومنها: إعراب القراءات السبع وعللها، والحجة في القراءات السبع توفي - رحمه الله - سنة (٣٧٠هـ). ترجمته: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١١\٢٣٧).

(٢) إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه (١\٣٥)، تحقيق د. عبدالرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي القاهرة.

أهداف الدراسة:

وتهدف الدراسة إلى ما يلي:

- ١- إبراز جهود الإمام نجم الدين الطوفي في التفسير.
- ٢- دراسة جانب من منهجه في التفسير، فإنه قد ترك كما كبيراً من التفسير يستحق الدراسة.

ومن هنا بدأت أبحث عن التفسير في مؤلفات الطوفي المطبوعة، في مختلف الفنون وشتى المجالات، ونحن إذا نظرنا في مؤلفات الطوفي نظرةً فاحصةً نجد للقرآن الكريم وعلومه نصيباً عظيماً وحظاً وافراً منها، يدل على مدى اهتمامه وعنايته بالكتاب العزيز وينبئ عن قناعاته بأهمية هذا العلم الشريف.

موضوع البحث:

وقد تركزت الدراسة على جانب مهم من التفسير، وهو تفسير القرآن بالقرآن، ولم أقصد دراسة منهج المفسر كاملاً، وذلك لسببين:

- ١- أن الطوفي لم يصنف تفسيراً تحليلياً كاملاً للقرآن، وإنما فسر مواضع هنا وهناك.

- ٢- أن هذا النوع من التفسير هو الطريقة المثلى للتفسير في نظر كثير من المختصين في هذا الفن-كما سيأتي-، كما أنه يعطي انطباعاً واضحاً عن منهج الطوفي وطريقته في التفسير.

خطة البحث: قسمت البحث إلى المباحث التالية:

المبحث الأول: التعريف بالطوفي.

وتناولت فيه اسمه ونسبه، مولده، نشأته وطلبه للعلم، ورحلاته، شيوخه وتلاميذه، مذهبه، صفاته ومكانته، مؤلفاته.

المبحث الثاني: جهود الطوفي في التفسير. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثاره في كتبه المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن.

المطلب الثاني: آثاره التفسيرية في كتبه الأخرى.

المبحث الثالث: منهجه في تفسير القرآن بالقرآن.

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: أهمية تفسير القرآن بالقرآن ومنزلته

المطلب الثاني: بيان المجمع.

المطلب الثالث: حمل المطلق على المقيد.

المطلب الرابع: حمل العام على الخاص.

المطلب الخامس: تفسير لفظ بلفظ آخر.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث منهج الاستقراء والتحليل، فقد تتبعت مواضع التفسير في كتب الطوفي، ثم انتقيت ما يتعلق بموضوع البحث ودرسته دراسة تحليلية، استخرجت منها منهج المفسر.

المبحث الأول

التعريف بالطوفي

سوف أقدم - هنا - لمحة عن الطوفي، وترجمة موجزة له، إذ ليس الغرض تقديم دراسة وافية، لأن المقام يستدعي الاختصار، كما أن ترجمته قد خدمت خدمةً جيدة لا مزيد عليها، وذلك في كثير من الدراسات التي تناولت بعض كتبه^(١).

(١) من أبرز تلك الدراسات ما تناوله:

١- د. إبراهيم الإبراهيم في مقدمة تحقيقه لكتاب الطوفي شرح مختصر الروضة.

٢- د. سالم القرني في مقدمة تحقيقه لكتاب الطوفيا لانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية.

٣- د. محمد الفاضل في مقدمة تحقيقه لكتاب الطوفيا لصعقة الغضب في الرد على منكري العربية.

وعليه سأتناول ترجمته من خلال النقاط الآتية:

١- اسمه ونسبه:

هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي الصرصري البغدادي، يكنى بأبي الربيع، ويلقب بنجم الدين^(١).

والطُوفِيّ - بضم الطاء وسكون الواو - نسبة إلى قريته **طوف** أو **طوفي**، وهي قرية من أعمال صرصر، **والصَرْصَرِيّ** - فتح الصاد وسكون الراء وتكريرها - نسبة إلى بلد **صرصر**، وهي على بعد فرسخين من بغداد^(٢).

٢- مولده:

الذي يظهر مما ذكره المترجمون للطوفي أنه ولد سنة بضع وسبعين وستمائة^(٣)، وقيل غير ذلك، وقد مال إلى هذا الرأي كثير من المحققين المعاصرين الذين كتبوا عن ترجمته^(٤).

٣- نشأته ورحلاته وطلبه للعلم ووفاته:

وذكر المترجمون أن الطوفي ولد في قريته **طوف**، ونشأ بها نشأته الأولى، وبقي فيها إلى أن ناهز السابعة عشرة من عمره، مع ترده خلال هذه المدة على **صرصر** القريبة منها للقراءة على علمائها، وقد حفظ في ذلك الوقت **مختصر الخرقى** في الفقه، **واللمع** في النحو لابن جني.

ثم أراد الاستزادة من العلم، فرحل إلى بغداد، ودخلها عام (٦٩١ هـ)، وجالس

د. مصطفى زيد في كتابه المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي،

وغيرها من الدراسات التي بسطها د. محمد الفاضل وفقه الله عند عرضه لمصادر ترجمة الطوفي.

(١) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٣٦٦/٢)، والدرر الكامنة (٢٤٩/٢)، وبغية الوعاة (١/٥٩٩)، وشذرات الذهب (٧١/٨)، وأعيان العصر (٤٤٥/٢).

(٢) انظر: المصادر السابقة. ومعجم البلدان (٤٠١/٣).

(٣) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٣٦٦/٢). وشذرات الذهب (٧١/٨).

(٤) ممن رجح هذا: د. مصطفى زيد، ود. إبراهيم البراهيم، ود. محمد الفاضل، ود. علي البواب.

الأفاضل من علمائها، فحفظ المحرر في الفقه الحنبلي، وقرأ العربية والتصريف، ودرس الأصول والفرائض وشيئاً من المنطق، وسمع الحديث من كبار أهل الحديث فيها.

ثم انتقل إلى دمشق، ودخلها سنة (٧٠٤هـ)، فأخذ عن أشهر علمائها، وسمع الحديث، ودرس الفقه، وقرأ ألفية ابن مالك.

ثم رحل إلى القاهرة، مركز العلوم والمعارف، فدخلها سنة (٧٠٥هـ)، وجالس مشاهير علمائها، وأخذ عنهم العلوم، وبقي فيها أعواماً حتى علت منزلته لدى الحنابلة، وتولى التدريس في عدد من مدارسها، وصنف فيها أشهر كتبه، ومنها: شرح مختصر روضة الناظر، وفي القاهرة حصل بينه وبين بعض العلماء من الحنابلة جفوة وخلاف، واتهم بأمور، فسجن مدةً وعُزِّر.

ولما خرج من السجن اتجه إلى دمياط، ومنها إلى قوص من أرض الصعيد، فأقام بها قرابة ثلاث سنوات، طالع فيها أغلب خزائنها، وألف فيها كثيراً من كتبه، حتى قيل: إن له في قوص خزانة كتب من تصانيفه.

ومن قوص خرج عام (٧١٤هـ) متوجهاً إلى مكة المكرمة للحج، وحج في سنته هذه، وبقي مجاوراً في الحرم إلى أن أدركه الحج في عامه التالي (٧١٥هـ)، فحج، ثم غادر إلى الشام، فقصد بيت المقدس، وألف فيه كتابه الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية الذي فرغ من تأليفه في شهر ربيع الآخر سنة (٧١٦هـ).

ثم توجه إلى بلد الخليل - عليه السلام -، حيث وافته المنية في شهر رجب من سنة (٧١٦هـ) رحمه الله^(١).

٤- شيوخه وتلامذته:

أخذ الطوفي في رحلاته وتنقلاته عن عدد كبير من علماء الأمصار التي دخلها، ومن

(١) انظر فيما سبق: الذيل (٢/٣٦٦ وما بعدها). والدرر الكامنة (٢/٢٤٩-٢٥١). وشذرات الذهب (٧١/٨).

أبرزهم^(١):

- ١ - علي بن محمد الصرصري الفقيه الحنبلي النحوي، قرأ عليه الطوفي الفقه بصرصر.
 - ٢ - تقي الدين عبد الله بن أبي بكر الزيرياتي البغدادي الحنبلي، فقيه العراق ومفتي الآفاق (ت ٧٢٩هـ).
 - ٣ - محمد بن الحسين الموصلني النحوي، الإمام في النحو والعروض والقراءات (ت ٧٣٥هـ).
 - ٤ - عبد الله بن عمر بن أبي الرضى الفاروقي الشافعي (ت ٧٠٦هـ).
 - ٥ - محمد بن عبد الله بن عمر بن أبي القاسم البغدادي الحنبلي، مسند العراق (ت ٧٠٧هـ).
 - ٦ - إسماعيل بن علي الطبال، المحدث شيخ المستنصرية (ت ٧٠٨هـ).
 - ٧ - أحمد بن علي بن عبد الله القلانسي البغدادي الحنبلي (ت ٧٠٤هـ).
 - ٨ - يوسف بن عبد المحمود بن عبد السلام بن البتي البغدادي، المقرئ الفقيه الأديب النحوي المتفنن.
 - ٩ - القاضي تقي الدين سليمان بن حمزة بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (ت ٧١٥هـ).
 - ١٠ - شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي (ت ٨٢٧هـ).
 - ١١ - الإمام الحافظ يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف المزي الشافعي، أحفظ أهل زمانه خصوصاً في الرجال المتقدمين (ت ٧٤٤هـ).
- وأما تلامذته: فلم تذكر كتب التراجم عنهم شيئاً، ولكن جاء في بعضها الإشارة

(١) انظر في شيوخ الطوفي: المصادر السابقة. وبغية الوعاة (١/٩٥).

عرضاً إلى ذلك . فذكر الحافظ ابن حجر(ت ٨٥٢هـ) ممن تتلمذ على الطوفي^(١):

- ١ - عبد الرحمن بن محمود بن قرطاس القوصي (ت ٧٢٤هـ)، ولي الخطابة بجامع الصارم بقوص.
- ٢ - محمد بن فضل الله بن أبي نصر بن أبي الرضى القبطي (ت ٧٤٥هـ) المعروف بابن كاتب المرج.

٥- مذهبه:

أما مذهبه الفقهي فهو حنبلي المذهب، كما اتفق على ذلك من كتب عن حياته من المتقدمين والمتأخرين^(٢).

وأما مذهبه العقدي فهو على مذهب السلف في الجملة، ينهج منهج الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وهذا ما كان يذكره عن نفسه ويسجله في بعض كتبه^(٣).

إلا أنه وافق المتكلمين في بعض المسائل، كما وافق الأشاعرة في بعض مسائل القدر والإيمان والصفات.

واشتد نكيره عليهم في مسائل أخرى، لذلك لا يمكن القول بأنه أشعري لاسيما وقد خالفهم في أصول المذهب مثل الكلام النفسي^(٤).

٦- صفاته ومكانته العلمية:

كان الطوفي- رحمه الله - قوي الحافظة شديد الذكاء، كثير المطالعة، ديناً ساكناً

(١) انظر: الدرر الكامنة (٢/ ٤٥٥).

(٢) انظر: الذيل (٢/ ٣٦٢) . وشذرات الذهب (٨/ ٢٧١) . والدرر الكامنة (٢/ ٢٤٩) . وبغية الوعاة (١/ ٥٩٩) . وأعيان العصر (٢/ ٤٤٥).

(٣) هذا هو الذي يظهر من حال الطوفي - رحمه الله -، وما رُمي به من التشيع والرفض لا أساس له من الصحة، وقد قدم الباحثان الفاضلان: د. مصطفى زيد، د. إبراهيم الإبراهيم أدلة واضحة على براءته من هذه التهمة، وأنه حنبلي النشأة والثقافة.

(٤) هذا ما توصل إليه الباحث د. إبراهيم المعثم في دراسته الواسعة منهج الطوفي في تقرير العقيدة، انظر: الخاتمة (ص ٧١٠).

قانعاً، مقتصداً في لباسه وأحواله، متقللاً من الدنيا^(١).

وقال عنه الصفدي (ت ٧٦٤ هـ): «كان فقيهاً حنبلياً عارفاً بفروع مذهبه ملياً، شاعراً أدبياً، فاضلاً لبيباً، له مشاركة في الأصول، وهو منها وافر المحصول، قيماً بالنحو واللغة والتاريخ وغير ذلك، وله في كل ذلك مقامات ومبارك، ولم يزل كذلك إلى أن توفي رحمه الله»^(٢).

٧- مؤلفاته:

كان الطوفي كثير المطالعة شغوفاً بتحصيل العلوم مشاركاً في التأليف في مختلف الفنون، ومن مؤلفاته^(٣):

- ١- الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (مطبوع).
- ٢- الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية (مطبوع).
- ٣- الإكسير في علم التفسير (مطبوع).
- ٤- شرح مختصر روضة الناظر (مطبوع).
- ٥- الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية (مطبوع).
- ٦- عِلْمُ الْجَدَلِ فِي عِلْمِ الْجَدَلِ (مطبوع).
- ٧- شرح الأربعين النووية (مطبوع).
- ٨- موائد الحيس في فوائد امرئ القيس (مطبوع).
- ٩- إيضاح البيان عن معنى أم القرآن (مطبوع).
- ١٠- تفسير سورة «ق» (مطبوع).
- ١١- تفسير سورة «القيام» (مطبوع).

(١) انظر: الدرر الكامنة (٢/٢٥٢). وبغية الوعاة (١/٦٠٠).

(٢) أعيان العصر (٢/٤٤٥-٤٤٦).

(٣) انظر في التعليق على هذه المؤلفات: دراسة د. محمد الفاضل في تحقيقه لكتاب: الصعقة الغضبية، وقد استدركت عليه بعض الكتب التي طبعت مؤخراً بعد كتابته الرسالة.

- ١٢ - تفسير سورة «النبأ» (مطبوع).
- ١٣ - تفسير سورة «الانشقاق» (مطبوع).
- ١٤ - تفسير سورة «الطارق» (مطبوع).
- ١٥ - درء القول القبيح بالتحسين والتقبيح (مطبوع).
- ١٦ - بغية الواصل إلى معرفة الفواصل (مخطوط).
- ١٧ - بيان ما وقع في القرآن من الأعداد (مطبوع).
- ١٨ - التعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط).
- ١٩ - الشعار على مختار الأشعار (مطبوع).
- ٢٠ - مختصر الترمذي (مخطوط).
- ٢١ - الآداب الشرعية (مفقود).
- ٢٢ - الرياض النواضر في الأشباه والنظائر (مفقود).
- ٢٣ - معراج الوصول إلى علم الأصول (مفقود).
- ٢٤ - مختصر المحصول (مفقود).
- ٢٥ - مختصر الحاصل (مفقود).
- ٢٦ - القواعد الكبرى (مفقود).
- ٢٧ - القواعد الصغرى (مفقود).
- ٢٨ - دفع التعارض عما يوهم التناقض في الكتاب والسنة (مفقود).

المبحث الثاني جهوده في التفسير

تمهيد

إذا نظرنا في مؤلفات الطوفي نظرةً فاحصةً نجد للقرآن الكريم وعلومه نصيباً عظيماً وحظاً وافرأمنها، يدل على مدى اهتمامه وعنايته بالكتاب العزيز وينبئ عن قناعاته بأهمية هذا العلم الشريف، ويمكننا تقسيم جهود الطوفي في التفسير وعلوم القرآن إلى قسمين:

القسم الأول: جهود مباشرة في التفسير وعلوم القرآن، وهي تصانيفه المتعلقة في التفسير وعلوم القرآن.

القسم الثاني: التفسير في كتبه الأخرى، وهو قدراً لا يستهان به من التفسير مبعوث في مصنفاة، وتعتبر جهوداً غير مباشرة في التفسير وعلوم القرآن.

أولاً: آثاره في كتبه المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن:

١ - كتاب الإشارات الإلهية في المسائل الأصولية:

وهو كتاب كبير في التفسير انتظم فيه سور القرآن، قصد فيه إبراز إشارات القرآن الكريم لأصول الفقه وأصول الدين، وهو تفسير ذو اتجاه أصولي، مع ما يحويه من أصول التفسير وقواعده المعتمدة من بيان المعنى وتوضيح الغريب واللغة والإعراب والاستنباط، حتى صار هذا الكتاب تحفة للنظار، ومورداً عذباً للباحثين، قال العليمي عن هذا الكتاب: «هو من آخر مصنفاة، وهو كتاب عديم النظير والمثيل، وليس أحد من العلماء حذا حذوه في مصنف»^(١).

قال الألوسي - رحمه الله - : «إنه البحر العباب، والغيث الذي يقصر عنه السحاب، له

(١) الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، للعلمي (٢/٤٦٤).

تفسير يُسمى بالإشارات الإلهية والمباحث الأصولية، ليس له في بابه نظير^(١).
ويعُدُّ من أهم كتب الطوفي، وآخرها تأليفاً، وقد توفي بعد تأليفه بأقل من ثلاثة شهور،
وقد حققه الدكتور كمال محمد عيسى معتمداً على بعض النسخ، ونال به درجة
الماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة في عام ١٣٩٤ هـ الموافق ١٩٧٤ م، ولم
يطبع.

وقال الإمام الطوفي في مقدمته: «... نستقرئ القرآن من أوله إلى آخره ونقرر من
المطالب الأصولية، وهي ضربان: أصول دين، وأصول فقه^(٢)، فهو إذن كتاب حول
القرآن وما فيه من مباحث أصول الدين وأصول الفقه.

وهذا الكتاب سيكون واسطة العقد في كتب الطوفي التي سأستخرج منها منهجه في
التفسير بالإضافة إلى كتبه الأخرى الغنية بالتفسير، وقد طبع الكتاب محققاً على عدة
نسخ خطية في دار الفاروق، القاهرة ٢٠٠٣ م.

٢ - مجموع فيه تفسير سورك، والقيامة، والنبأ، والانشقاق، والطارق:

وهذا المجموع موجود في مكتبه برلين الوطنية، وقد حققه وطبعه الدكتور حسين
البواب، ونشرته مكتبة التوبة . وهذه التفاسير من إملاء الطوفي وتصنيفه ويبدو
أنه فرغ منها في القاهرة عام (٧١١هـ) أي قبل وفاته بسنين، وهي تنم عن علم غزير
وفهم عميق، فهو لم يقتصر على توضيح معاني الكلمات والعبارات، ولكنه يُعني
باستخلاص الأحكام والفوائد والعبر من الآيات ويتناول القضايا الاعتقادية بشيء
من البسط، كما يظهر جلياً تميزه في علوم اللغة العربية حين يعرض للقضايا الإعرابية
والبلاغية في الآيات^(٣).

(١) جلاء العنينين في محاكمة الأحمدين، نعمان بن محمود الألويسي (ت ٢١٧ هـ) (١/٥٠).

(٢) الإشارات الإلهية للمباحث الأصولية، نجم الدين الطوفي (١/٢٠٩).

(٣) تفسير سورة ق، القيامة، النبأ، الانشقاق، الطارق، نجم الدين الطوفي، تحقيق: د. علي حسين البواب،
مكتبة التوبة ١٩٩١ م، مقدمه المحقق (ص ٩).

٣ - إيضاح البيان عن معاني القرآن:

هذا تفسير مستقل لسورة الفاتحة (أم الكتاب)، اجتهد فيه الطوفي في إيضاح معاني الفاتحة واستنباط الفوائد منها، وبيّن أن سبب كونها أم القرآن يرجع إلى احتوائها لمقاصد القرآن الكريم من الإيمان بالله، وكتبه، ورسله، وملائكته، واليوم الآخر.

وذكر الطوفي أن ما في القرآن عن قصص وأخبار تكميل لتلك المقاصد، وبين أن القرآن فيه وعد ووعد، وثناء على الله وعبادة له، والفاتحة تتضمن ذلك كله، ففيها وعد ووعد، وأولها ثناء على الله، وآخرها عبادة له، ثم ذكر أسماء الفاتحة وأورد بعض الفوائد، ثم ختم الكتاب بتفسير موجز لسورتي الفلق والناس، وهذا الكتاب طبع بتحقيق الدكتور علي حسين البواب سنة ٢٠٠٠م، ونشرته مكتبة الثقافة الدينية في القاهرة.

٤ - عِلْمُ الْجَدَلِ فِي عِلْمِ الْجَدَلِ، ويسمى جدل القرآن:

وهو كتاب في الجدل والمناظرة، عقد فيه باباً في استقراء ما في القرآن الكريم من الوقائع الجدلية، ثم خرّجها على قواعد الاستدلال والجدل والمناظرة، ثم رتبها على ترتيب السور والآيات، أشار إليه السيوطي - رحمه الله - في الإتيان حيث قال في النوع الثامن والستين من علوم القرآن علم جدل القرآن: «وقد أفردته بالتصنيف نجم الدين الطوفي»^(١)، وقد طبعه المستشرق فولفهارت في ألمانيا عام ١٩٨٧م.

٥ - الإكسير في قواعد التفسير:

وهو كتاب وضعه الطوفي لبيان العلوم التي اشتمل عليها القرآن، وينبغي للمفسر أن ينظر فيها ويصرف عنايته إليها، كما تطرق الطوفي بإسهاب لعلمي المعاني والبديع لكونهما من أنفس علوم القرآن.

قال الدكتور عبد القادر حسين: «أراد الطوفي من تأليف هذا الكتاب أن يضع قانوناً يكشف به ما اعترى علم التفسير من إشكال، بحيث يعول عليه، ويصير هو المرجع في

(١) الإتيان في علوم القرآن (٤/٦٠).

هذا الفن، وبعد أن ينتهي من ذلك يردفه بقواعد نافعة في علوم القرآن»^(١).

٦ - بيان ما وقع في القرآن من الأعداد^(٢):

وهو كتاب لطيف عمّد فيه الطوفي إلى جمع الآيات التي فيها ذكر الأعداد، ثم رتبها تصاعدياً بدءاً من العدد واحد إلى الألوف التي ذكرت في القرآن الكريم، وإذا كان العدد يتكرر في القرآن يقتصر فيه على آيتين أو ثلاث، واقتصر - أيضاً - على الأعداد الصحيحة دون أن يعرّج على الكسور مثل النصف والثالث والرابع والسادس، ثم عرّج على الأعداد المذكورة في السنة وكلام العرب وأشعارهم.

ويعد كتابه هذا من قبيل التفسير الموضوعي أو تصنيف الآيات حسب الموضوع، وهذا الصنيع لم يكن منتشرًا في عصر المؤلف، وخصوصاً في موضوع الأعداد والأرقام والإحصاء، مما يدل على نباهة الطوفي وإبداعه.

وقد طبع الكتاب مؤخراً في دار البشائر الإسلامية ٢٠١١م بتحقيق الدكتورة مها الجارالله، هذا ما وقع تحت يدي من مؤلفات الطوفي المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن، وهناك كتب أخرى أشار إليها المترجمون للطوفي ولم أجد لها أثراً في الوقت الحالي مع شدة البحث والتنقيب، وإذا ظهر منها شيء في المستقبل القريب سأضيفه لدراستي بإذن الله تعالى^(٣).

ثانياً: التفسير في كتبه الأخرى:

أما كتبه في العلوم الأخرى غير التفسير وعلوم القرآن، فإنها تحوي جهداً وآراءً في التفسير لا يستهان بها، فرأيت أن أنقل منها ما يوضح منهجيتها التي يتبعها في التفسير

(١) الإكسير في علم التفسير، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين (ص ١١) من مقدمة المحقق.

(٢) بيان ما وقع في القرآن من الأعداد، نجم الدين الطوفي، تحقيق د. مها الجارالله، دار البشائر الإسلامية ٢٠١١م.

(٣) مثل كتاب: دفع التعارض عما يوهم التناقض في الكتاب والسنة، ذكره صاحب كشف الظنون (٧٥٦/١)، وابن رجب الحنبلي في ذيل طبقات الحنابلة (٣٦٧/٢) ولم أجده، وكتاب الرياض النواضر في الأشباه والنظائر، وهو كتاب مفقود في تفسير القرآن بالقرآن، وذكره الطوفي في كتابه قاعدة جلية في علم الكتاب والسنة (ص ٦٨).

وإن لم تكن جهداً مباشراً فيه، فمن ذلك:

١ - كتاب الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية:

ألف هذا الكتاب رداً على أحد النصارى الذين طعنوا في دين الإسلام.

قال الطوفي في مقدمة الكتاب: «فإني رأيت كتاباً صنّفه بعض النصارى، يطعن به في دين الإسلام، ويقدح في نبوة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فرأيت مناقضته»^(١).
فيه محاجة للنصارى وإثبات نبوة النبي - ﷺ -، وفيه دفاع عن القرآن الكريم من شبه الطاعنين فيه.

وهو مطبوع بتحقيق د. أحمد حجازي السقا، نشر المكتبة الأزهرية ١٩٨٣ م، وطبع مؤخراً بتحقيق ودراسة الدكتور سالم القرني ٢٠١٠ م.

٢ - شرح الأربعين النووية:

كتاب كبير الحجم، وقد أشار الطوفي إلى تاريخ تأليفه بقوله: «وكان ابتدائي فيه يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الآخر، وفراغي منه يوم الثلاثاء ثامن عشرين، كلاهما من سنة ثلاث عشرة وسبعمئة بمدينة قوص من أرض الصعيد ..»^(٢)
وقد طبع بتحقيق كامل أحمد الحسيني، دار البصائر - القاهرة ٢٠٠٩ م.

٣ - حلال العَقْد في بيان أحكام المعتقد:

وهو ضمن المجموع المحفوظ في مكتبة برلين، الحاوي للرسائل المذكورة قبله، وهي سورة «ق» وما بعدها، وقد قال الطوفي في أول الكتاب - بعد البسملة والحمدلة: «..أما بعد: فالغرض من هذه الرسالة بيان الدين ومقاصده، والإشارة إلى تمهيد أصوله وقواعده على وجه ملخص مختصر»^(٣).

(١) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (٢٢٧/١) تحقيق: د. سالم القرني، مكتبة العبيكان.

(٢) شرح الأربعين النووية، نجم الدين الطوفي، (ص ٤٥٩). ت: كامل الحسيني.

(٣) منهج الطوفي في تقرير العقيدة، د. إبراهيم عبد الله المعثم (٨٠/١).

وقد سجل في تحقيقه رسالة ماجستير للباحث جمعان ظاهر الحربش ١٩٩٨م،
جامعة القاهرة بكلية دار العلوم.

٤ - درء القول القبيح بالتحسين والتقييح أو إبطال التحسين والتقييح:

وفي بيان موضوع الكتاب، يقول الطوفي في المقدمة: «... ثم تتابع بنو آدم في التحسين والتقييح... فمنهم: من عبد ما استحسن؛ فأساء وما أحسن، وإن مدار كثير من الضلالات على الأصل المذكور منذ خلق آدم وحتى النفخ في الصور... وقد وضعت هذا الكتاب لأبين فساد ذلك الأصل وما بنى عليه من الأصول...»^(١) وقد طبع مؤخراً في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، تحقيق: د. أيمن محمود شحاده.

٥ - شرح مختصر الروضة:

والمراد بالروضة: روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة، ومختصر الروضة: هو مختصر الطوفي نفسه لروضة الناظر، المسمى بالبلبل، وهذا الشرح هو شرح مختصر الروضة المشهور لدى العلماء قديماً وحديثاً.

وهو كتاب نفيس في أصول الفقه، وقد طبع في مؤسسة الرسالة بتحقيق د. عبدالله التركي عام ١٩٨٧م.

٦ - الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية:

وهو كتاب في بيان فضل تعلم العربية وتعلق علم الكتاب والسنة بها، وضعه في الرد على أناس يهونون من شأن تعلم العربية، وهو مطبوع بتحقيق د. محمد الفاضل، دار العبيكان، وأعدت طبعه هذا العام ٢٠١٣م وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

٧ - قاعدة جلييلة في الأصول، أو في علم الكتاب والسنة:

وهو مؤلف لطيف وضعه لبيان قاعدة في الاستدلال والترجيح بالكتاب والسنة،

(١) درء القول القبيح، نجم الدين الطوفي (ص ٦٨)، طبع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ت: د. أيمن محمود شحاده.

وبيان السنة للقرآن.

وهو مطبوع بتحقيق د. محمد المبارك، ومنشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٥١) رجب ١٤٢٦ هـ.

هذه بعض مصنفات الطوفي الموجودة، والتي هي مظان البحث في التفسير وعلوم القرآن.

المبحث الثالث

منهج الطوفي في تفسير القرآن بالقرآن

يُعدُّ تفسير القرآن بالقرآن الطريقة المثلى في تفسير القرآن الكريم، ولا مناص للمفسر من النظر أولاً إلى الكتاب العزيز نفسه لإيضاح معانيه، ويعلل الدكتور محمد حسين الذهبي ذلك بقوله: «لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه وأعرف به من غيره»^(١).

وقد تتابع العلماء على اعتبار هذه الطريقة في التفسير هي أفضل طرق التفسير وأعلاها رتبة.

ويؤيد المفسر محمد الأمين الشنقيطي هذا المعنى وينقل الإجماع عليه، في مقدمة تفسيره.

قال رحمه الله: «لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا»^(٢)، بل إن بعض المفسرين الذين سلكوا اتجاه التفسير بالرأي يقرّون بأن هذه الطريقة أسدُّ وأصوب في تفسير القرآن الكريم، فهذا الزمخشري المفسر المعتزلي يقول: «وأسدُّ المعاني ما دلَّ

(١) التفسير والمفسرون (٣٧/١٠).

(٢) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي (٨/١).

عليه القرآن»^(١)، وهذا فخر الدين الرازي إمام المتكلمين يرى أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، حيث قال: «وآيات القرآن يفسر بعضها بعضاً»^(٢).

وعدّ ابن القيم تفسير القرآن بالقرآن أولى التفاسير وأبلغها ما وجد إليه سبيلاً^(٣).

أنواع تفسير القرآن بالقرآن:

ينطوي تحت تفسير القرآن بالقرآن أنواع عدة، حصرها بعضهم في ستة أنواع هي^(٤):

- ١ - بيان المجمل.
- ٢ - تقييد المطلق.
- ٣ - تخصيص العام.
- ٤ - تفسير المفهوم من آية بآية أخرى.
- ٥ - تفسير لفظة بلفظة.
- ٦ - تفسير معنى بمعنى.

ولو تم استقراء كتب التفسير التي تعني بتفسير القرآن بالقرآن لظهرت أنواع أخرى في هذا الطريق.

على الرغم من أن الطوفي رحمه الله يتجه دائماً إلى الاستنباط والاستدلال الأصولي والتفسير باللغة في تفسيره للآيات القرآنية إلا أننا نلاحظ استعماله لهذا النوع الأصيل في تفسير القرآن، وهذا المصدر المهم والأساس وهو تفسير القرآن بالقرآن، وليس ذلك بالأمر السهل، بل يحتاج إلى علم غزير وفهم عميق لكتاب الله تعالى، قال الدكتور محمد حسين الذهبي: (ليس حمل المجمل على المبين، أو المطلق على المقيد أو العام على

(١) الكشف، الزمخشري، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (٥/٢٤٥).

(٢) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (١٧/٢٤٢).

(٣) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم (١/١١١).

(٤) فصول في أصول التفسير، د. مساعد الطيار (ص ٢٤).

الخاص، أو إحدى القراءتين على الأخرى بالأمر الهين الذي يدخل مقدور كل إنسان إنما هو أمر يعرفه أهل العلم والنظر خاصة^(١).

والإمام الطوفي قد استعان بهذا المصدر في جميع أنواعه، وسألقي الضوء عليهما من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول

بيان المجمل

عرّف السيوطي المجمل بأنه: «ما لم تتضح دلالته»^(٢)، وعرفه الطوفي بأنه «اللفظ المتردد بين محتملين فصاعداً على السواء»^(٣).

ويرى الإمام الطوفي أن الأسلوب في القرآن الكريم منه ما هو واضح المعنى، ظاهر الدلالة، بين بنفسه، فلا يحتاج إلى بيان؛ لاتضح لفظه واشتهاره وضعاً أو عرفاً، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِمُخْزِنِينَ﴾ (الحجر: ٢٢).

فإن لفظ الإنزال والسماء والماء والإسقاء معروفة مشهورة، ونصوصيتها في مدلولاتها غير منكورة^(٤).

وبعض القرآن غير واضح في لفظه ومعناه جميعاً، وهو الذي يحتاج إلى تفسير، فقولته تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ (التكوير: ١٧) يفيد الإقبال والإدبار، وقوله تعالى: ﴿وَالْمَطَلَقَاتُ يَرْبِضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة: ٢٢٨) يفيد معنى الطهر والحيض، وقوله تعالى: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٩) يحتمل النهي والخبر، ومن النصوص القرآنية التي تتسم بعض ألفاظها بالغرابة كقوله تعالى:

(١) التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي (١/ ٤١).

(٢) الإتقان (٣/ ٥٣).

(٣) شرح مختصر الروضة، نجم الدين الطوفي، تحقيق: د. عبد الله التركي (٢/ ٦٤٧).

(٤) الإكسير في علم التفسير، للطوفي، تحقيق: د. عبد القادر حسين، دار الأوزاعي، بيروت (ص ٣٣).

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾
 (هود: ٧٧)، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ﴾
 (الذاريات: ٥٩) فكانت هذه الألفاظ والمعاني محتاجة إلى تفسير^(١).

وشغل هذا النوع من التفسير حيزاً كبيراً من تفسير الطوفي للآيات التي يمر عليها، فهو يرى أن قصص الأنبياء مع أممهم في القرآن الكريم جاءت مجملة في مواضع ومبينة في مواضع أخرى، وضرب على ذلك عدة أمثلة فقال - رحمه الله - : «ومن أمثلة ذلك قوله - عز وجل - : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّالِينَ﴾ (يوسف: ٧).

فهذا إشارة إلى قصتهم إجمالاً، ثم استقصى بيانها في باقي السورة»^(٢).

وكذلك قوله - عز وجل - : ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (القصص: ٣) فهو إشارة إلى قصتهما إجمالاً، ثم استقصى بيانها في سياق السورة^(٣).

وقال الإمام الطوفي أيضاً: «وكذلك قصص جماعة من الأمم مع أنبيائها، أجملها الله - عز وجل - في مكان كسورة الذاريات، وبينها في مكان كسورة الأعراف والشعراء وهود، وبعضها أبين من بعض بياناً مطلقاً، أو من وجه، ولهذا يستفاد من ذلك في بعض السور ما لا يُستفاد من بعض»^(٤).

والحقيقة: أن هذا نوع من أنواع تبیین المجل، وهو الإيجاز في موضع، والتفصيل في موضع آخر، وإلا فإن المجل يتناول المعاني والألفاظ، وقد يكون البيان متصلاً بها وقد يأتي منفصلاً في آيات أخرى^(٥).

(١) الإكسير في علم التفسير، نجم الدين الطوفي ص ٣٤٤.

(٢) إيضاح البيان عن معنى أم القرآن، نجم الدين الطوفي، تحقيق: د. علي البواب ص ١٠١.

(٣) المصدر السابق نفسه ص ١٠١.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٦٦.

(٥) انظر: مبحث أسباب الإجمال وأنواع البيان في أصول التفسير وقواعده، د. خليل الكبيسي (ص ٢٢٢)،

ط. مكتبة الصحابة، الشارقة. والبرهان، للزركشي (٢/ ٢٣٤).

ويسترسل الإمام الطوفي في توضيح الجمل وبيانه من القرآن بضرب الأمثلة على ذلك، فقال - رحمه الله - : ومن أمثلة تفاوت البيان: قوله - عز وجل - : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَنْتَخِذْنَا هُزُؤًا قَالِ اعْوِذْ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (البقرة: ٦٧) الآيات، فإنه - عز وجل - أمرهم أولاً بذبح بقرة، وهي مسمى مطلق في غاية الإجمال، ثم بين لهم أنها ﴿ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَكَ ذَلِكَ ﴾، ثم بين لهم أنها ﴿ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شَيْءَ فِيهَا ﴾، فكان ذلك غاية البيان لهم.

فحينئذ قالوا: الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون^(١).

ونلاحظ هنا أن الطوفي - رحمه الله - جعل هذا التفصيل في قصة البقرة من قبيل بيان الجمل، وهذا قسم من أقسام بيان الجمل، وهو البيان المتصل الذي يقع فيه الاتصال بين المبيّن والمبين^(٢).

واستطرد الطوفي - رحمه الله - في ضرب أمثلة على بيان الجمل في القرآن من القرآن، فقال - رحمه الله - : «ومن أمثلة ذلك: أن الله - عز وجل - بين مواقيت الصلاة في كتابه بقوله - عز وجل - : ﴿ فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ نُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ (الروم: ١٧)، ثم بقوله - عز وجل - : ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ نَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الطور: ٤٨ - ٤٩) ثم بقوله - عز وجل - : ﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ (ق: ٣٩).

وقوله: ﴿ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ (طه: ١٣٠) الآيتين. وبقوله -

(١) إيضاح البيان عن معنى أم القرآن، الطوفي (ص ١٤)، والآيات من سورة البقرة (ص ٦٧-٧١).

(٢) قواعد التفسير جمعاً ودراسة، د. خالد بن عثمان السبت (١/١١٠).

عز وجل - ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (الإسراء: ٧٨) الآيات، وهي متفاوتة في البيان^(١).

يرى الطوفي - رحمه الله تعالى - أن هذه الآيات مبينة للإجمال في الأمر بإقامة الصلاة على مواقيتها، وهو أمر مجمل ليس فيه بيان المواقيت، مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ (النساء: ١٠٣).

وهذه الآيات التي ساقها تبين المواقيت على النحو التالي كما أوضحها المفسرون^(٢).

قوله: ﴿ فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ (١٧) ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ (١٨) (الروم: ١٧-١٨).

المراد بالتسبيح في هذه الآية: الصلاة، وأشار بقوله ﴿ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ إلى صلاة المغرب والعشاء، وبقوله: ﴿ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ إلى صلاة الصبح، وبقوله ﴿ وَعَشِيًّا ﴾ إلى صلاة العصر، وبقوله: ﴿ وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ إلى صلاة الظهر، ثم جاءت السنة وأوضحت هذا البيان غاية الإيضاح^(٣).

ومن الأمثلة: ما ذكره الطوفي - رحمه الله - عن قوله تعالى: ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٤)، أي من انتهك لكم حرمة فانتهكوا له مثلها؛ لتقتصوا فيه، بدليل: ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ

(١) إيضاح البيان عن معنى أم القرآن، نجم الدين الطوفي (ص ١٤٤).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الشعب، القاهرة (١٤/١٤). وتفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق سامي سلامة، ط. دار طيبة للنشر (٣٥٥/٤). وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت (٢٥٠/٣). وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد بن الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت (٢٨٠/١).

(٣) حديث ابن عباس في مواقيت الصلاة رواه مسلم، كتاب المساجد، باب ٣٩، (١/٤٤٤).

قِصَاصٌ مِّنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿البقرة: ١٩٤﴾ إذ هذا بيان ﴿وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ﴾^(١).

وهذا يعدُّ من البيان المتصل، فقد اعتمد - رحمه الله - على سياق الآية في تفسير
والحرمت قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه، والاستناد للسباق في تفسير
الآية: مسلك من مسالك التفسير المعتبرة عند المفسرين^(٢).

المطلب الثاني

حمل المطلق على المقيد

عرّف الإمام الطوفي المطلق بأنه «ما تناول واحداً غير معين، باعتبار حقيقة شاملة
لجنسه، نحو قوله عز وجل: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ (المجادلة: ٣).

وقوله - عليه الصلاة والسلام - : (لا نكاح إلا بولي)^(٣) فكل واحدٍ من لفظ الرقبة
والولي قد تناول واحداً غير معين من جنس الرقاب والأولياء^(٤).

وأما المقيد عنده فهو ما تناول معيناً أو وصفاً زائداً على حقيقة الجنس.

قال - رحمه الله - : «والمقيد ما تناول معيناً نحو أعتق زيدا من العبيد، أو موصوفاً
بوصف زائد على حقيقة جنسه نحو: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
مُّؤْمِنَةٍ﴾ (النساء: ٩٢) و﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ (النساء: ٩٢).

وصف الرقبة بالإيمان، والشهرين بالتتابع، وذلك وصف زائد على حقيقة جنس
الرقبة والشهرين، لأن الرقبة قد تكون مؤمنة وكافرة، والشهرين قد يكونان متتابعين

(١) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، نجم الدين الطوفي (١/٣٢٤).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين الحربي، ط. دار القاسم، الرياض (١/١٢٥).

(٣) رواه أحمد (٤١٣/٤-٤١٨) من حديث أبي موسى الأشعري - t -، وهو عند الترمذي برقم (١١٠١)
وأبي داود برقم (٢٠٨٥)، والحاكم (١٦٩/٢)، والبيهقي (١٠٧/٧)، واختلف في وصله وإرساله.
انظر: التلخيص الحبير، لابن حجر العسقلاني (٣/١٥٦-١٥٧).

(٤) شرح مختصر الروضة، نجم الدين الطوفي، تحقيق د. عبد الله التركي (٢/٦٣٠).

وغير متتابعين»^(١).

إن حمل المطلق على المقيد في الآيات القرآنية من صميم تفسير القرآن بالقرآن. قال السيوطي - رحمه الله - : «متى وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه وإلا فلا، بل يبقى المطلق على إطلاقه»^(٢).

ولم يهمل الإمام الطوفي هذا الجانب، بل كان يوضح ذلك في كثير من الأحيان إذا اقتضى المقام ذلك.

ومن الأمثلة على ذلك: ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَخِذْنَا هُزُؤًا قَالِ أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة: ٦٧).

قال الطوفي: «هي مطلقة؛ لدالتها على ماهية البقرة من غير قيد، وفيه: جواز التكليف بالخطاب المطلق»^(٣).

وقد قيّد هذا الإطلاق بالقيود المذكورة في الآيات بعدها لما تعنت بنو إسرائيل بالأسئلة التي لم يكلفوا بها، فشدد الله عليهم بالقيود التي قيدت الأمر المطلق بذبح بقرة، ويدل على ذلك الإطلاق: ما رواه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس موقوفاً: (لو ذبحوا أي بقرة أرادوا لأجزأتهم، ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم)^(٤).

ومن الأمثلة التي تناول فيها الإمام الطوفي المطلق والمقيد: ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١).

(١) شرح مختصر الروضة، نجم الدين الطوفي، تحقيق: د. عبد الله التركي (٢/ ٦٢١).

(٢) الإلتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (١/ ٢٦٤).

(٣) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، نجم الدين الطوفي (١/ ٢٧٤).

(٤) رواه ابن جرير الطبري (٢/ ٢٠٤، ح ١٢٣٥).

يرى الطوفي- رحمه الله - أن في هذه الآية إطلاق، وهو المضاعفة لكل منفق في سبيل الله، ولكن هذا الإطلاق قيّد في الآية التي بعدها بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِّنَّا وَلَا أَدَّى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٢٦٢).

فقال - رحمه الله - : «في هذه الآية إطلاق قيد في الآية التي بعدها بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِّنَّا وَلَا أَدَّى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٢٦٢).

فصارت مضاعفة الصدقة إلى سبعمائة ضعف مشروطة بعدم المن والأذى، وصار تقدير الآية: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١ الآية^(١)).

فلاحظ في هذا المثال أن الإمام الطوفي فسر الآية على ضوء القاعدة الأصولية: (المطلق يحمل على المقيد)^(٢).

فنراه حمل الإطلاق في مضاعفة النفقة في سبيل الله على التقييد بشرط عدم المن والأذى في الآية التي بعدها.

ومن الأمثلة على المطلق: ما ذكره الطوفي عند قوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (النحل: ٣٠).

قال رحمه الله (هذا عام في المحسنين، مطلق في الحسنة، فكل محسن لا بد له في الدنيا

(١) الإشارات الإلهية (١/ ٣٦١-٣٦٢)، نجم الدين الطوفي.

(٢) ينظر في شروط حمل المطلق على المقيد: البحر المحيط للزركشي (٣/ ٤١٦)، المستصفي للإمام الغزالي (٢/ ١٨٥)، الإتيقان للسيوطي (٣/ ٩١)، شرح مختصر الروضة لنجم الدين الطوفي (٢/ ٦٣٠-٦٣٥).

من حسنة، جزاءً كثيراً أو قليلاً؛ ولو وصف الإحسان).^(١) يريد ولو مجرد وصفه بأنه «محسن».

المطلب الثالث

حمل العام على الخاص

حدّ العام عند الطوفي هو: استغراق اللفظ لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد.^(٢)

وحدّ التخصيص عنده: هو بيان المراد باللفظ العام.^(٣)

ويرى الطوفي أنه يجب بناء العام على الخاص؛ لأن في ذلك إعمال للدليلين، قال رحمه الله: «وبناء العام على الخاص: هو أن يتعارض دليلان، فيعمل بالخاص في خصوصه، وبالعام فيما عدا صورة التخصيص..؛ لأن الخاص أقوى دلالة، فالعمل به وبالعام فيما عداه استعمال للدليلين»^(٤).

أخذ هذا النوع من التفسير مساحة كبيرة من تفسير الطوفي، خصوصاً في كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية.

فلا تكاد تمر به آية إلا ويبين عمومها إن كانت باقية على العموم، أو ما يخصها إذا جاء لها تخصيص من القرآن.

قال - رحمه الله - بعد أن قدم مقدمة في بيان العام والخاص^(٥).

«وإن قد فرغنا من قاعدة العموم والخصوص، فنحن إن شاء الله - عز وجل - كلما

(١) الإشارات الإلهية (٢/٣٦٨).

(٢) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، لنجم الدين الطوفي (١/٢٢٥). وشرح مختصر الروضة، للطوفي (٢/٤٤٨).

(٣) المرجع نفسه (١/٢٢٨). وانظر: شرح مختصر الروضة، للطوفي (٢/٤٦٠).

(٤) المرجع نفسه (١/٢٣٠).

(٥) من ص ٢٢٤-٢٣٢، من كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية.

مررنا بلفظ عام وجهنا عمومه إن احتاج إلى ذلك، ثم بينا أنه باق على عمومه، أو خص بشيء، وبماذا خص، وفيه خص»^(١).

والأمثلة على ذلك كثيرة، سأسوق منها ما يوضح المقصود.

من الأمثلة: ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ طَّالِحًا بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَابْتِغَاءُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٨).

قال الطوفي: «هذا عام خص منه القتل خطأ أو حداً، كالزاني والمرتد والباغي ومن مات في جلد أو قطع، والقتلى الحربيون وغيرهم من الكفار، وغير ذلك مما انتفى فيه القصاص بأدلة تخصيصه المشهورة»^(٢).

ثم قال - رحمه الله -: «ونحوه من صور العذر المسقطه للقصاص؛ لقوله - عز وجل -: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ﴾ (الأحزاب: ٥).

فهنا عدة مسائل مستثناه من عموم قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ طَّالِحًا بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَابْتِغَاءُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٨).

منها القتل الخطأ فليس فيه قصاص، واستند الطوفي في تخصيص هذا العموم بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ﴾ (الأحزاب: ٥) والإجماع منعقد على هذا^(٣).

(١) الإشارات الإلهية (١/٢٣٢).

(٢) الإشارات الإلهية (١/٣١٣).

(٣) الإشارات الإلهية (١/٣٣٦)، ولينظر في الإجماع: المغني، لابن قدامة (٨/٢١٤).

ومن الأمثلة أيضاً على حمل العام على الخاص: ما جاء عند تفسير قوله تعالى:
﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ (البقرة: ٢٢٨).

قال الطوفي: «هو عام مخصوص بالمطلقات الحوامل، عدتهن بوضع الحمل بدليل:
﴿ وَالَّتِي بَيَّسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ
يَحِيضَنَّ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَنْقِ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ
يُسْرًا ﴾ (الطلاق: ٤)»^(١).

وهذا المثال واضح في تخصيص الآية، إلا أن الطوفي رحمه الله قصر في بيان المخصوص
حينما اقتصر على ذوات الحمل، بينما استثنت الآية التي استند عليها في تخصيص
العموم صنفين من النساء، هما: المرأة الحامل وعدتها أن تضع حملها، والمرأة التي لا
تحيض لصغر أو إياس، فعدتها ثلاثة أشهر، قال تعالى: ﴿ وَالَّتِي بَيَّسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ
مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِيضَنَّ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ
أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَنْقِ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ (الطلاق: ٤).

يستثنى - أيضاً - من طلقت قبل الدخول والخلوة، فليس عليها عدة البتة: لقوله
تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾
(الأحزاب: ٤٩)، فهذه ثلاث مسائل مستثناة من عموم قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ
يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ (البقرة: ٢٢٨)^(٢)، هذا على القول بعموم الآية، وهو
ما يتبناه الطوفي، وهناك من المفسرين: من يرى أن الآية ليست عامة، وإنما هي خاصة
في المطلقة ذات القرء التي تم الدخول بها، بدليل تنمة الآية في سياقها: (ولا يحل لهن أن
يكتمن ما خلق الله في أرحامهن)، وهذا لا يكون قطعاً إلا إذا كانت المرأة مدخولاً بها، وهي
ممن يصلح للحمل، فالصغيرة قبل سن الحيض لا تحمل، وكذا الكبيرة التي بيئت من

(١) الإشارات الإلهية (١/٢٣٦).

(٢) انظر: تفسير البغوي (١/٢٦٤). والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣/١٧٤).

المحيض، فتعين أن تكون الآية خاصة في المطلقة ذات القرء المدخول بها، وممن يرى هذا الرأي: الإمام مكي بن أبي طالب، وابن عطية، قال ابن عطية: (والمُطَلَّقاتُ لفظٌ عموم يراد به الخصوص في المدخول بهن، ولم تدخل في العموم المطلقة قبل البناء ولا الحامل ولا التي لم تحض ولا القاعد، وقال قوم: تناولهن العموم ثم نُسِخْنَ، وهذا ضعيف فإنما الآية فيمن تحيض).^(١)

ومن الأمثلة ما جاء عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٣)، قال الطوفي: «هذا تخصيص لعموم ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة: ٨٨) خص بهذه الأشياء وبقي ما عداها من الأرزاق حلالاً، بناءً على أن العام بعد التخصيص حجة في الباقي إلى أن ورد نهيه - ﷺ - عن كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير^(٢).

وكذلك كل ما قام الدليل على تخصيصه بالتحريم من عموم الأرزاق الحلال كالجلالة^(٣)، والهوام والمستخبثات بقوله - عز وجل -: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ (الأعراف: ١٥٧) ونحو ذلك^(٤).

ونلاحظ في المثال السابق أن الطوفي - رحمه الله - استدل على تخصيص عموم قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة: ٨٨) بأيتين من القرآن.

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١/٣٠٤)، وانظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، لمكي بن أبي طالب.
(٢) رواه مسلم رقم الحديث (١٩٣٤) كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع (١٢٣/١٢٤-١٢٤).

(٣) عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجلالة وألبانها». رواه أبو داود (٣٧٨٥). والترمذي (ح ١٨٢٤)، وقال: «حسن غريب». والجلالة: هي التي تأكل العذرة. انظر: غريب الحديث، للقاسم بن سلام الهروي، تحقيق د. محمد عبد المعين خان (١/٧٨). وغريب الحديث، لابن قتيبة (١/٢٧٦).

(٤) الإشارات الإلهية (١/٣٠٨).

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ، لِعَیْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ۱۷۳).

والثانية: قوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ﴾ (الأعراف: ۱۵۷).

وهو بذلك يعمل الدليلين الخاص في خصوصه، ويبقى العام فيما عداه من الصور، قال - رحمه الله - : «وبقي ما عداها من الأرزاق حلالاً، بناءً على أن العام بعد التخصيص حجة في الباقي»^(١).

ومن النماذج على تخصيص العموم من القرآن بالقرآن عند الطوفي ما جاء عند قوله تعالى: ﴿مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ﴾ (الذاريات: ٤٢).

قال: (هذا مخصص لقوله تعالى: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأحقاف: ٢٥).

أي كل شيء أنت عليه، وهي لم تأت على كل شيء على الإطلاق، بل على ما كان لعاد»^(٢).

وقال: «والأشبه أنه عام أريد به الخاص، وهو ما يختص بعاد قوم هود من المساكن والأموال والأنفس ونحوها، بديل: ﴿مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ﴾ (الذاريات: ٤٢) فخص ما دمرته بما أنت عليه، وإنما أتت على أرض عاد»^(٣).

وهذه الآية يستشهد بها الأصوليون لإيضاح أن كل عموم لا بد له من مخصص^(٤) فلا

(١) المرجع السابق (١/٣٠٨).

(٢) المرجع نفسه (٣/٢٨٤).

(٣) الإشارات الإلهية (٣/٢٥٠).

(٤) انظر: على سبيل المثال الأحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الأمدي (٢/٢٢). والمستصفي من علم أصول الفقه، للإمام الغزالي (٢/١٥٨). ونهاية السؤل شرح منهاج الوصول، جمال الدين الإسفوي (١/٤٣٤).

يكاد يخلو كتاب في أصول الفقه من الاستدلال بهذا المثال في تخصيص العام، فالطوفي وافق عامة المفسرين والأصوليين في هذا النموذج، إلا أن بعضهم يرى أن المخصص هو الحس^(١)، بينما يرى الطوفي أن التخصيص كان من القرآن نفسه.

المطلب الرابع

تفسير لفظ بلفظ آخر

من أساليب تفسير القرآن بالقرآن: تفسير لفظ بلفظ، وذلك أن يرد لفظ غريب ثم يذكر في موضع آخر بلفظ أشهر من المعنى في ذلك اللفظ، فيكون بمثابة التفسير له.

مثل ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾ (هود: ٨٢).

جاء في الآية الأخرى لنفس القصة ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ (الذاريات: ٣٣).

فاتضح أن المراد بالسجيل هو الطين؛ لأن الآيتين وردتا في شأن قوم لوط^(٢).

وهذا الأسلوب يستعمله الطوفي كثيراً إذا ما وجد لفظاً يحتاج إلى شرحه بما ورد من معناه في آيات أخرى من القرآن الكريم، ونلاحظ فيه قوة الاستحضار للأشباه والنظائر من آيات الكتاب، ومن الأمثلة على ذلك: ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢).

قال الطوفي: «أي سقفاً مبنياً فوقكم مثل: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ

(١) انظر: قواعد الأصول ومعاقد الفصول، صفي الدين الحنبلي (١٢/١). وروضة الناظر وجنة

المنائر، لابن قدامة المقدسي (٦١/٣).

(٢) فصول في أصول التفسير، د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي (ص ٢٦).

عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ ﴿ (الأنبياء: ٣٢) و﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾ (الطور: ٥) (١).

ففسر لفظة ﴿بِنَاءٍ﴾ معناها سقفاً مبنياً، وساق الآيات التي تشهد لهذا المعنى.

ومن النماذج كذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (ق: ٦) قال: «أي هي مصممة لا خرق فيها، ولعل الإشارة إليه بقوله - عز وجل -: ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ (الملك: ٣) جمع فطر: وهو الصدع، ومنه ﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾ (الزمل: ١٨) ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَلَّ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشورى: ٥) (٢).

وفي هذا المثال قابل الطوفي بين الآيتين ﴿ وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ و﴿ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ والفروج هي الشقوق والفتوق (٣)، والفطور: صدوع وشقوق (٤).

فهناك تشابه واضح بين الآيتين؛ مما جعل الطوفي يسوق الآية مساق الاستشهاد في تفسير الآية الأخرى، وقد سبق الطوفي إلى هذا الربط: الإمام الزمخشري عند قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (ق: ٦) قال الزمخشري: ﴿ بَنَيْنَاهَا ﴾ رفعناها بغير عمد، ﴿ مِنْ فُرُوجٍ ﴾ من فتوق، أي: أنها ملساء سليمة من العيوب، لا فتق فيها ولا صدع ولا خلال، كقوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ

(١) الإشارات الإلهية (١/٢٥٨).

(٢) تفسير سورة ق، نجم الدين الطوفي (ص ٣١)، تحقيق د. علي حسين البواب.

(٣) تفسير البغوي (٧/٣٥٧). وانظر: التبيان في غريب القرآن، لشهاب الدين بن الهائم المصري، تحقيق د. فتحي أنور الدابولي (ص ٣٨٧).

(٤) تفسير البغوي (٨/١٧٦). والتبيان في غريب القرآن (ص ٤١٩).

المطلب الخامس

الاستدلال على معاني الألفاظ والتراكيب

في الآية بما ورد من معناها في آيات أخرى

ومن تفسيره القرآن بالقرآن: ما يورده باجتهاده ونظره في آيات القرآن التي بينها تشابه في المعنى والموضوع، فيسوق الآيات في نفس المعنى؛ لتعضده وتزيده إيضاحاً.

والذي أراه أن هذا النوع من تفسير القرآن بالقرآن يرجع إلى اجتهاد المفسر ونظره وسعة إطلاعه واستحضاره لآيات الكتاب العزيز، فما دام أن المفسر رأى أن هذه الآية تفسر تلك الآية لا بد أنه اعتمد على وجود علاقة بين الآيتين، فإذا كانت هذه العلاقة واضحة وبينية فلا إشكال، وأما إن كانت خفية وتحتاج إلى إعمال نظر واجتهاد صارت من قبيل الرأي المحمود والاجتهاد في ربط الآيات بعضها ببعض، وهذا يقودنا إلى مسألة: هل تفسير القرآن بالقرآن من قبيل التفسير بالمأثور، أو من قبيل التفسير بالرأي؟

والحقيقة: أننا إذا نظرنا إلى عملية التفسير فإنه من التفسير بالرأي؛ لأنه جاء بطريق النظر وإعمال الذهن، ولهذا تصح مخالفته عند وجود الدليل الذي يقتضي ذلك، وقد خالف شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري إمام المفسرين مجاهداً في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ (عبس: ٢٠) حيث فسّر مجاهد ﴿السَّبِيلَ﴾ بقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣) ورجح الطبري أن ﴿السَّبِيلَ﴾ في ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ هو تيسير الخروج من بطن أمه لدلالة السياق ^(٢).

(١) الكشاف، لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، جارا الله (ت ٥٣٨هـ) (٦/٣٨٩).

(٢) ذكره الزركشي في: البرهان في علوم القرآن (٢/٢٠٥). وانظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٤/٢٢٣)، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة.

وأما إذا نظرنا إلى المصدر المفسر به: فهو من قبيل المأثور باعتبار طريق وصوله إلينا وهو النقل والأثر.

ومن الأمثلة على هذا النوع من التفسير عند الطوفي ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ (الحج: ٢٤)، قال: «هو قولهم في فاطر: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: ٣٤). وهو الكلم الطيب المذكور في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ﴾ (فاطر: ١٠)»^(١).

فالطوفي بهذا المثال فسر المراد من ﴿الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ الوارد في سورة الحج بما ورد في سورة فاطر من قول أهل الجنة الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وفسره بأنه هو المراد بالكلم الطيب الذي يصعد إلى ربنا، وهذا الربط بين الآيتين هو اجتهاد من الطوفي - رحمه الله -، وقد أورد الإمام البغوي في تفسيره قولاً موافقاً لما ذهب إليه الطوفي، وهو أن: المراد بالطيب من القول هو قول أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (الزمر: ٧٤)^(٢).

ومن النماذج أيضاً: أنه فسر قوله تعالى في الفاتحة: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة: ٤)، بأنه مالك يوم الحساب والجزاء، مستشهداً على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (الانفطار: ١٩)^(٣).

ومن الأمثلة ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ (الانشقاق: ٤). قال الطوفي: «﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ يعني من الموتى ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ منه، فصارت منه خلاءً:

(١) الإشارات الإلهية (٤٠/٣).

(٢) معالم التنزيل، للبغوي الفراء (٣٧٦/٥)، ط. دار طيبة، تحقيق: محمد النمر وعثمان ضميرية.

(٣) إيضاح البيان على معنى أم القرآن، نجم الدين الطوفي (ص ١٨).

أي خالية، وهو معنى قوله - عز وجل - ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا ﴾ (الزلزلة: ٢).
 ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ (يس: ٥١) ﴿ خُشَعًا
 أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴾ (القمر: ٧) ونحو ذلك»^(١).

هذه أبرز مجالات تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام الطوفي، وهو جانب رحب يبرز ما عنده - رحمه الله - من حدة نظر في التفسير.

وبهذا يتبين لنا جلياً حرص الطوفي على تفسير القرآن بالقرآن، فهو يرى أن ما في القرآن مما يحتاج إلى بيان، فبيانه إما أن يكون في القرآن نفسه في موضع آخر منه، أو لا «فإن كان في القرآن تعين بياناً له؛ لأنه بيان القاطع بمثله، والجنس بجنسه»^(٢).

بل إنه ألف كتاباً في تفسير القرآن بالقرآن أسماه **الرياض النواضر في الأشباه والنظائر**، وهو كتاب في التفسير، عمد فيه إلى الجمع بين الآيات المتشابهة في اللفظ أو المعنى وفسر بعضها ببعض، وهو كتاب مفقود، لم تصل إليه أيدي الباحثين إلى الساعة، ولكن الطوفي - رحمه الله - أشار إليه، وأشاد به في مواضع من كتبه، فقال - رحمه الله -: «وقد بلغنا أن بعض العلماء فسر القرآن بالقرآن، وهو يسير على من قصد إليه، وأعين عليه، فإن الله - عز وجل - قال: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ مِنْهُ جُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر: ٢٣).

أي يشبهه بعضه بعضاً أو يصدق بعضه بعضاً، وكتابي المسمى **بالرياض النواضر في الأشباه والنظائر** ينحو ذلك المنحى، ومغزاه ذلك المغزى»^(٣).

(١) تفسير سورة الانشقاق، نجم الدين الطوفي، تحقيق: د. علي حسين البواب (ص ٩٦).

(٢) قاعدة جلييلة في علم الكتاب والسنة، نجم الدين الطوفي (ص ١٦٦)، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود (٥١) رجب ١٤٢٦ هـ.

(٣) قاعدة جلييلة في علم الكتاب والسنة، نجم الدين الطوفي (ص ١٦٨)، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود (٥١) رجب ١٤٢٦ هـ، وانظر: موائد الحيس إلى فوائد امرئ القيس، لنجم الدين الطوفي، تحقيق: د. مصطفى عليان (ص ١٥٧).

الخاتمة

أولاً: النتائج:

وبعد هذه الجولة مع التفسير عند الإمام الطوفي، وتحديد ملامح منهجه في تفسير القرآن بالقرآن، يمكنني استخلاص النتائج التالية:

- ١ - أظهرت الدراسة تميز الإمام الطوفي في علم التفسير، وهو الجانب الذي كان مغموراً، ولم يُشتهر عنه بسبب اشتهار كونه فقيهاً وأصولياً.
- ٢ - كشفت الدراسة أن للطوفي مصنفات مستقلة في تفسير القرآن، منها: التحليلي مثل تفسير سور (ق، القيامة، النبأ، الانشقاق، الطارق)، ومنها: ما هو من قبيل التفسير الموضوعي مثل كتابه الفذ (الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية) الذي تضمن تفسيراً عقدياً وأصولياً للقرآن الكريم.
- ٣ - ساهمت الدراسة في إبراز منهج الطوفي في جانب مهم من جوانب التفسير، وهو: تفسير القرآن بالقرآن، والذي يعد معياراً دقيقاً يعبر عن مدى تمكن المفسر في فهم الكتاب العزيز.
- ٤ - بينت الدراسة مسلك الاعتدال والعمق في استعمال هذا النوع من التفسير بلا تكلف، ولا إهمال، عند الإمام الطوفي.

ثانياً: التوصيات:

- ١ - لفت نظر المتخصصين في التفسير لدراسة جوانب التفسير الأخرى عند الطوفي.
- ٢ - توجيه طلبة الدراسات العليا المتخصصين في التفسير إلى الاستفادة من منهج الإمام الطوفي في التفسير.
- ٣ - التوصية بدراسة جانب علوم القرآن عند الطوفي، فهو جانب حافل بالفوائد والآراء والاختيارات، كما اتضح لي من خلال قراءة كتبه.

المصادر والمراجع

- الإحكام في أصول الأحكام، الإمام علي بن محمد الأمدي، علق عليه الشيخ عبدالرزاق عفيفي، المكتب الاسلامي.
- أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عظمة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد: دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا للطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨.
- إيضاح البيان عن معنى أم القرآن، نجم الدين الطوفي، تحقيق: د. علي البواب
- الإكسير في علم التفسير، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين، دار الأوزاعي، بيروت ١٩٨٩ م
- الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، نجم الدين الطوفي، تحقيق حسن عباس قطب، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.
- الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية. للطوفي تحقيق د. سالم القرني، نشر مكتبة العبيكان، الرياض
- اتجاهات التفسير في العصر الراهن، د. عبدالمجيد المحتسب، مكتبة النهضة الإسلامية عمان.
- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي، مؤسسة الرسالة.
- الإتيقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق: سعيد المنذوه، دار الفكر.
- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبة، مكتبة السنة القاهرة.
- أصول التفسير وقواعده، د. خليل الكبيسي، ط. مكتبة الصحابة، الشارقة.
- إعجاز القرآن، لأبي بكر الباقلاني، دار الكتب العلمية.
- الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين.

- أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، دارالكتب العلمية.
- البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، طبع وزارة الأوقاف الكويتية.
- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمدأبوالفضل إبراهيم، مطبعة الحلبي.
- بيان ما وقع في القرآن من الأعداد، نجم الدين الطوفي، تحقيق د. مها الجارالله، دار البشائر الإسلامية ٢٠١١م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.
- التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الفكر.
- التبيان في غريب القرآن، لشهاب الدين بن الهائم المصري، تحقيق د. فتحي أنور الدابولي.
- تفسير سور: ق، القيامة، النبأ، الانشقاق، الطارق، نجم الدين الطوفي، تحقيق الدكتور علي حسين البواب، مكتبة التوبة ١٩٩١م
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفراء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق سامي سلامة، ط. دار طيبة للنشر
- تفسير البحرالمحيط، لأبي حيان، دارالفكر، بيروت.
- تفسير البيضاوي= أنوارالتنزيل وأسرار التأويل، دارالكتب العلمية.
- تفسير ابن جرير= جامع البيان عن تأويل أي القرآن، دارالفكر.
- تفسير أبي سعود= إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم، دارالكتب العلمية.
- تفسير القرطبي= الجامع لأحكام القرآن، دارالكتاب العربي.
- التفسير الكبير = مفاتيح الغيب، للرازي، طبعة: دارالكتب العلمية.
- التفسيروالمفسرون، د. محمدحسين الذهبي، دار إحياء التراث العربي.

- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة ١٩٩٥ م.
- الجامع الصحيح، للبخاري، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، اسطنبول.
- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان بن محمود الألويسي قدم له: علي السيد صبح المدني - رحمه الله - الناشر: مطبعة المدني، ١٩٨١ م.
- درء القول القبيح، نجم الدين الطوفي، طبع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، تحقيق: د. أيمن محمود شحاده.
- الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، مجير الدين عبد الرحمن العليمي.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ) الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد / الهند.
- الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م.
- الذيل على طبقات الحنابلة، الحافظ ابن رجب الحنبلي تحقيق الدكتور عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان.
- سنن الترمذي = الجامع الصحيح، للترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، دارالكتب العلمية.
- سنن أبي داود، تحقيق: محي الدين عبدالحميد، دارالفكر، بيروت.
- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دارالكتب العلمية.
- السنن الكبرى للبيهقي، دارالمعرفة، بيروت.
- سنن النسائي بشرح السيوطي، وحاشية السندي، دارالريان.
- سيرأعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة.
- شرح مختصر الروضة. نجم الدين الطوفي تحقيق د. إبراهيم الإبراهيم، الطبعة الأولى، مطابع الشرق الأوسط، الرياض ١٩٨٩ م.

- شرح مختصر الروضة، نجم الدين الطوفي، تحقيق: د. عبد الله التركي.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط و عبد القادر الأرناؤوط الناشر: دار ابن كثير، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية. للطوفي تحقيق د. محمد الفاضل. نشر مكتبة العبيكان، الرياض .
- صحيح الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- غريب الحديث، للقاسم بن سلام الهروي، تحقيق د. محمد عبد المعين خان.
- غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المحقق: د. عبدالله الجبوري الناشر: مطبعة العاني - بغداد الطبعة: الأولى، ١٣٩٧.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دارالمكتبة السلفية، القاهرة.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، دارالفكر.
- فصول في أصول التفسير، د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي.
- الفوز الكبير في أصول التفسير، ولي الله الدهلوي، دار البشائر الإسلامية.
- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، دار الرسالة، بيروت.
- قاعدة جلية في علم الكتاب والسنة، نجم الدين الطوفي، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود عدد (٥١) رجب ١٤٢٦ هـ.
- قواعد التفسير جمعاً ودراسة، خالدالسبت، دار ابن عفان.
- القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبدالرحمن بن سعدي، مكتبة الرشد.
- قواعد الترجيح عند المفسرين، د. حسين الحربي، ط. دار القاسم، الرياض.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم الزمخشري، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، المطبعة الإسلامية، طهران.
- المجموع شرح المذهب للنووي، دارالفكر.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع محمد بن قاسم، دار عالم الكتب، الرياض.
- محاسن التأويل = تفسير القاسمي، تحقيق: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية.
- المستدرک على الصحيحين، للحاكم، دارالمعرفة، بيروت.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، دارصادر.
- المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافيا الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م
- معالم التنزيل للبغوي، دارالفكر، بيروت.
- معجم القراءات القرآنية، د. عبدالعال مكرم سالم، د. أحمد مختار عمر، جامعة الكويت.
- معجم البلدان للشيخ الامام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية، القاهرة.
- المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي، د. مصطفى زيد، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٤.
- المفردات لغريب القرآن، للراغب الأصفهاني، دار القلم.

- المغني، ابن قدامة المقدسي، تحقيق: د. عبدالمحسن التركي، عبدالفتاح الحلو، دارعالم الكتب.
- مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، تحقيق: عبدالله الطيار، دارالوطن.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمدعبدالعظيم الزرقاني، دارالمعرفة.
- منهج الطوفي في تقرير العقيدة د. إبراهيم المعثم، دار كنوز اشبيليا، الرياض.
- موائد الحيس إلى فوائد امرئ القيس، لنجم الدين الطوفي، تحقيق: د.مصطفى عليان، دار البشير، الأردن ١٩٩٤ .
- الموطأ، مالك بن أنس، محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي.
- نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، جمال الدين الإسنوي، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمدالزاوي، ومحمود الطناجي، توزيع: دار الباز، مكة المكرمة.
- معجم الصحابة للحافظ البغوي، دار البيان للنشر.